الصواعق المحرقة

على

أهل الرفض والضلال والزندقة

تأليف

أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي

ابن حجر الهيتمي (٩٧٣)هـ

تحقيق

عبد الرحمن بن عبد الله التركي

كلية أصول الدين بالرياض

كامل محمد الخراط

الجزء الأول

دار الوطن

الرياض ـ شارع المعذر ـ ص . ب ٣٣١٠

☎ ٤٧٩٢٠٤٢ ـ فاكس ٤٧٦٤٦٥٩

محمداً (ﷺ) في أهل بيته[1]. أي: احفظوه فيهم فلا تُؤذوهم.

وأخرجَ ابن[2] سعد، والملاّ في «سيرته» أنه (ﷺ) قال: «استَوصوا بأهلِ بيتي خيراً، فإني أخاصِمكم عنهم غداً، ومن أكُن خَصْمه أخصمه، ومن أخصمه دَخل النار». وأنه قال: «مَن حَفِظني في أهل بيتي فَقد اتخذ عندَ الله عهداً».

وأخرج الأول: «أنا وأهل بيتي شجرة في الجنة وأغصانها في الدنيا، فَمن شاء اتخذ إلى ربه سَبيلاً»[3].

والثاني، حديث: «في كُل خَلَفٍ من أمتي عدولٌ من أهل بيتي، ينفون عن هذا الدين تَحريف الضَّالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ألا وإن أئمتكم وَفدكم إلى الله عز وجل، فانظُروا من توفِدون».

وأخرج أحمد خبر: «الحمدُ لله الذي جَعلَ فينا الحكمة أهل البيت»[4]. وفي خبر حَسن: «ألا إن عَيبتي وكَرِشي أهل بيتي والأنصار، فاقْبَلوا من مُحسنِهم، وتجاوزوا عن مُسيئهم»[5].

تنبيه: سَمَّى رسولُ الله (ﷺ) القرآنَ وعترته ـ وهي بالمثناة الفوقية: الأهل

(١) أخرجه البخاري (٣٧١٣) و (٣٧٥١)، ومسلم (٢٠٥)، وأورده الهندي في الكنز (٣٧٦١١).

(٢) تحرفت في (ك) إلى: «أبو».

(٣) ذكره ابن عابدين في رسالته: «العلم الظاهر في نفع النسب الطّاهر» رسائل ابن عابدين ١/٤، ونسبه لأبي سعيد في «شرف النبوة».

(٤) أخرجه أحمد في «الفضائل» (١١١٣)، وذكره المحب الطبري في «ذخائر العقبى» ٢٠، ٨٠.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٩٠٤)، وابن أبي شيبة ١٢/١٥٩، وذكره التبريزي في «المشكاة» (٦٢٤٠)، والسيوطي في الدر المنثور ٣/٢٧٠، والهندي في الكنز (٣٣٦٩٩).

والنسل والرهط الأدنون ـ ثقلين؛ لأن الثَّقَل كل نفيس خَطير مَصون، وهذان كذلك؛ إذ كلٌ منهما معدن للعلوم اللَّدُنِّية[1]، والأسرار والحكم العَليّة، والأحكام الشرعية، ولذا حَثَّ (ﷺ) على الاقتداء والتمسك بهم، والتعلم منهم، وقال: «الحمد لله الذي جَعل فينا الحكمة أهل البيت» .

وقيل: سُمِّيا ثقلين لثقل وجوب رعاية حقوقهما، ثم الذين وقع الحث عليهم منهم إنما هُم العارفون بكتاب الله وسنة رسوله (ﷺ)؛ إذ هم الذين لا يُفارقون الكتاب إلى الحوض، ويؤيده الخبر السابق: «ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم[2]». وتَميزوا بذلك عن بقية العلماء؛ لأن الله أذهبَ عنهم الرجس وطَهرهم تَطهيراً، وشرفهم بالكرامات الباهرة والمزايا المتكاثرة، وقد مرَّ بعضها، وسيأتي الخبر الذي في قُريش: «تعلموا منهم، فإنهم أعلم منكم»، فإذا ثبت هذا العموم لقُريش، فأهل البيت منهم أولى منهم بذلك؛ لأنهم امتازوا عنهم بخصوصيات لا يُشاركهم فيها بقية قُريش.

وفي أحاديث الحثّ على التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع مُتأهل منهم للتمسك به إلى يَوم القيامة كما أن الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أمانًا لأهلِ الأرض كما يأتي، ويشهد لذلك الخبر السابق: «في كل خَلفٍ من أمتي عدول من أهل بيتي» إلى آخره.

ثم أحق من يتمسك به منهم إمامهم وعالمهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، لما قدمناه من مَزيد علمه ودقائق مُستنبطاته، ومن ثم قال أبو بكر رضي الله

(١) في (ك) : «الدينية».

(٢) تقدم في الصفحة ٤٣٩.

وفي رواية صحيحة : « كأني قد دُعيت فأجبت ، إني قد تركتُ فيكم الثقلين ، أحدهما آكد من الآخر : كتاب الله عز وجل وعترتي -أي : بالمثناة- فانظروا كيفَ تخلفوني فيهما ، فإنهما لن يَتفرقا حتى يَردا عليَّ الحوض » ، وفي رواية : «وإنهما لن يَتفرقا حتى يَردا عليَّ الحوض ، سألتُ ربي ذلك لهما فلا تَتقدموهما فتهلكوا ، (١ ولا تُقصروا عنهما فَتهلكوا١) ، ولا تعلموهم ، فإنهم أعلم منكم»(٢) ، ولهذا الحديث طرقٌ كثيرة عن بضعٍ وعشرين صَحابيًا لا حاجةَ بنا إلى بسطها ، وفي رواية : آخرُ ما تَكلم به النبي (ﷺ) : « اخلفوني في أهلي » (٣) .

وسَمّاهما ثقلين ؛ إعظامًا لقدرهما ، إذ يقال لكل خَطير شريف : ثقلاً ، أو لأن العمل بما أوجبَ الله من حُقوقهما ثقيل جدًا . ومنه قوله تعالى : ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ [المزمل : ٥] ، أي : له وزنٌ وقدر ؛ لأنه لا يؤدى إلا بتكليف ما يُثقِل . وسُمي الإنس والجن ثَقلين ؛ لاختصاصهما بكونهما قُطّان (٤) الأرض ، وبكونهما فُضّلا بالتمييز على سَائر الحيوان ، وفي هذه الأحاديث سيما قوله (ﷺ): «انظروا كيف تخلفوني فيهما » ، و « أوصيكم بعترتي خيرًا » ، و « أذكركم الله في أهل بيتي » الحث الأكيد على مَودّتهم ، ومزيد الإحسان إليهم واحترامهم ، وإكرامهم ، وتأدية حقوقهم الواجبة والمندوبة ، كيفَ وهم أشرف بيتٍ وجد على وجه (٥) الأرض فخرًا وحَسبًا ونَسبًا ، ولا سيما إذا كانوا مُتَّبعين للسنة النبوية ، كما كانَ عليه سلفهم ، كالعباس وبَنيه ، وعلي وأهل بيته ، وعقيل وبنيه ، وبني

(١-١) ساقط من (ك) .

(٢) تقدم في الصفحة : ٤٣٩ .

(٣) تقدم في الصفحة : ٤٤٠ .

(٤) تحرفت في (ط) إلى : « قطتان » ، وفي (ك) : إلى : « يطان » .

(٥) ليست في الأصل .

الصواعق المحرقه (ابن حجر الهيتمى)